التّحول الصوتيّ في بنية الكلمة المضاعفة المسموعة

الدكتور حسين عباس الرفايعة

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الحسين بن طلال

ملخّص

يقف هذا البحث على مسألة التّحول في بنية الكلمة المضاعفة المسموعة التي عُدّت شاذّة في النَظَر اللغويّ، ويستدعي أمثلة ثرّة تكشف عمّا أصاب فاء الكلمة، أو عينها، أو لامها من تغيّرات صوتيّة يصعب ضبطها، مع تحديد مركزيّة التّحول دون المساس بالمعنى- سواء أكان ذلك التّحول في الاسم، أم الفعل، أم الحرف - والتّهدي إلى دواعي بروز هذا التّحول، ومعرفة سيرورته في اللهجات العاميّة.

Abstract

This research sheds the light on the issue of phonetic transformation in the structure of the irregular assimilated word; a transformation that is considered irregular from a linguistic point of view. This transformation requires plentiful examples that explain the uncontrollable phonetic transformations that occurred to the word's initial and final. The examples studied in this research will determine the centrality of this transformation without playing with the meaning of the nouns, verbs, and letters. This research will uncover the reasons of the emergence of this transformation and its continuity in the vernacular dialects.

لم يكن التّحول الصوتيّ في بنية الكلمة المضاعفة غُفْلاً في النَظَر الصرفيّ عند القدامى، وذلك بيّن في أثناء المدوّنة اللغويّة بشكل عام، والمدوّنة الصرفيّة بوجه خاص، إذ نبّهوا عليه في أثناء كلامهم على مسألة الإبدال المسموع، ولكنّهم لم يولوه اهتماماً، ولم يحظ بدراسة عميمة، فقد قصروه على أمثلة قليلة، جاءت مبثوثة في كتب النّحو والصرف، ولم ينتظم في عقْد واحد، وترسّم اللاحق طريق السابق، وكأنّ هذا الانصراف عن استقصاء هذه المسألة جاء بسبب من إدراج هذه الأمثلة في باب المسموع الذي لا يقاس عليه؛ لذا نعتوا هذا التّحول بالشاذ[1]، إذ لم يَعُد يتوفّر على قاعدة صرفيّة مقرّرة، ويُضاف إلى هذا أَنّ بعض أمثلته المفردة تحمل وجهين ممّا يُضعِفُ تحقيق مسألته، ويعزّز هذا أَنّ بعض اللغويّين قد سلكه في باب تعدّد اللغات وكفى[2].

ولم يتوانَ النّظر الصرفيّ في تلمّس علّة هذا التّحول حيثما عَنّ لهم مثالُهُ، فذهبت جماعة إلى إدارة هذا التّحول على علّة التخفيف؛ لأنّ التضعيف يَثْقل على بعض الألسنة، فكان الخلاص من هذا الثقل بالفرار إلى هذا الضّرب من التّحول لِنِشْدان الخِفّة، ويطالعنا بتبيان هذه العّلة نصّ سيبويه، إذ يقول: "اعلم أَنّ التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأَنّ اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أَنْ يكون من موضع واحد"[3].

---

١. سيبويه، عمرو بن عثمان، (١٨٠هـ/ ٧٩٦م) الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ١٩٨٣، ٤/٤٢٤. وانظر ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) أدب الكاتب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، م. السعادة بمصر، ط٤ ١٩٦٣، ٣٧٧. وانظر الثمانيني، عمر بن ثابت (٤٤٢هـ/١٠٥٠م) شرح التصريف، تح: د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٩، ٢١٧، وابن يعيش، علي (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) شرح الملوكي في التصريف، تح: د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربيّة بحلب، ٤٩٩.

٢. السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ/١٥٠٥م) المزهر في اللغة، تح: محمد أحمد جاد المولى ورفاقه، دار الفكر، ١/٤٦٠.

٣. سيبويه، الكتاب، ٤/٤١٧. وانظر: ابن دريد، محمد بن الحسن (٣٢١هـ/ ٩٣٣م) كتاب الاشتقاق، تح: عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة المثنّى، بغداد، العراق، ط٢، ١٩٧٩، ٢٩٢، وابن جنّي (٣٩٢هـ/١٠٠٢م) المحتسب، تح: علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ج١ /٢٨٣، والمؤدب، محمد بن سعيد (القرن الرابع الهجري) دقائق التصريف، تح: د. أحمد ناجي القيسي وزميليه، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧، ٤٣٧. والثمانيني، شرح التصريف، ٣٥٧.

وذهب آخرون إلى أنّ مسألة هذا التّحول محمولة على تحقيق الانسجام الصوتيّ، حيث نطالع رأي أبي عبيدة في أثناء كلامه على التّحول الواقع في كلمة تصدية، يقول: "فأخرج الدّال الثانية ياءً لكَسرة الدّال الأولى"[١].

وذهب نَظَرٌ ثالث إلى أنّها مسألة محمولة على تعدّد اللغات[٢] دون أنْ يبدي تعليلاً، وهذه الأنظار في مسألة التّحول معقودة على مجيء الكلمة المضاعفة مفردة، فإذا وُظّفت في مدار الشعر، ووقعت تحت سلطان التّحول، جاز للباحث أَنْ يحمل ذلك التّحول على مسوّغ الضرورة الشعريّة الذي أُهمل في تلك الأنظار، دون أن ينكر الباحث وروده على استحياء، على نحو ما يطالعنا في أثناء هذا البحث.

أمّا الدراسات اللغويّة الحديثة فلم تخرج على سَمْت القدامى، إذ ارتأوا أَنّ هذا التّحول يُدار على مسوّغ (التخفيف)، حيث أدرجوا هذا التّحول في باب التباين أو المخالفة الصوتيّة، ويقصدون بذلك "نزوع الصوتين المتماثلين أو المتقاربين إلى التباعد والتباين حتّى يخفّ نطقهما"[٣] . ونهض تحليلهم بأنّ أحد الصوتين المتماثلين يحوّل إلى صوت لين طويل[٤]، أو اختزال المشدّد والتعويض عنه بمدّ حركة السابق[٥].

---

١. الزركشي، محمد بن عبدالله (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م) البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، لبنان، المكتبة العصريّة، ٣٨٩/٣.

٢. الأنصاريّ، أبو زيد (٢١٥هـ/٨٣٠م) النوادر في اللغة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط٢، ١٩٦٧، ٤٥. وانظر: السيوطي، المزهر، ٤٦٠/١.

٣. البكوش، الطيّب، التصريف العربيّ من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم صالح القرمادي، تونس، ١٩٧٣، ٧٠، وعمر، د. أحمد مختار، دراسة الصوت اللغويّ، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨١، ٣٣٠، وعبد الجليل، د. عبد القادر، علم الصّرف الصوتي، دار أزمنة، ط١، ١٩٩٨، ٤٣٥، وعبد التواب، د. رمضان، التطور اللغوي، مطبعة المدني بمصر، ط١، ١٩٨٣، ٤١.

٤. أنيس، د. إبراهيم، الأصوات اللغويّة، مكتبة الأنجلو، ط٥، ١٩٧٩، ٢١١.

٥. الشايب، د. فوزي، أثر القوانين الصوتيّة في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردنّ، ط١، ٢٠٠٤، ٣٤٦.

وكان التّهدي إلى هذا التّحول في نَظَر علماء العربيّة القدامى يتأتّى من العودة إلى الأصل، فالأسماء الواقعة تحت سلطان هذا التّحول تخضع لوسيلة من الوسائل التي تردّ الأسماء إلى أصولها، نحو: التصغير، فتصغير كلمة (دينار) على دنينير، ينبّئ عن أنّ الأصل بالتضعيف (دِنّار) وأنّ النون الأولى بوصفها حرفاً صحيحاً قد حوّلت إلى الياء، ويمكن اختبار هذا الأصل بإيقاع جمع التكسير عليها، إذ تجمع على (دنانير).

أمّا التهدّي إلى معرفة هذا التّحول في الفعل المضاعف، فقد ذهبوا إلى إسناده إلى ضمير الرفع المتّصل، نحو : (ظنيت) أصله (ظننْتُ)، فصوت اللين الطويل محوّل عن النون.

وظهر لهم من خلال مطالعتهم لأمثلة هذا التنوّع أنّ وقوعه في موضع اللام من الكلمة أصل غالب، إلى ذلك ذهب سيبويه "هذا باب ما شذّ فأُبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف، وليس بمطّرد"[1] كما أنّ الياء مستأثرة بهذا التّحول دون غيرها، وقد نبّه ابن عصفور على أنّ الصوت الواقع في موضع اللام محوّل إلى الياء، وأنّ التضعيف أصل، وذلك راجع لكثرة الاستعمال، يقول: "وإنّما جعلنا اللام هي الأصل؛ لأنّ أمللتُ أكثر من أمليت[2]" ولست على يقين من أنّ هذا التّحول مقصور على لام الكلمة، وعلى الياء وحدها، فثمّة تحوّل قد وقع في فاء الكلمة وفي عينها، وأنّ تحوّلاً عكسياً قد أصاب بعض المفردات، إذّ حوّلت الياء إلى أصوات أُخر، أو أنّ تحويلاً قد جرى بمنأى عن الياء بين أصوات صحيحة على نحو ما سيأتي في أثناء هذا البحث، وهذا يشي بأنّ القدامى كانوا على صواب أن سلكوه في باب الشاذ.

ولسائل أَنْ يسأل عن القيمة الدلاليّة المترتبة على هذا التّحول، والجواب عن ذلك بالنفي، فهذا التّحول لا يترتّب عليه تغيير في المعنى، فوضع صوت مكان آخر في هذا التّحول يعني أنهّما "تنوعان لفونيم واحد"[3].

---

١. سيبويه، الكتاب، ٤٢٤/٤ . وانظر السيوطيّ، المزهر ٤٦٨/١.

٢. الميدانيّ، أحمد بن محمد (٥١٨هـ/١١٢٤م) نزهة الطرف في علم الصرف، تح: د. يسريّة محمد، ط١، ٢٢٣.

٣. عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغويّ، ١٨٠.

جدول الأسماء

المفردة	قبل التّحول	بعد التّحول	صورة التّحول	موضع التّحول	ملحوظة
التصدية	التّصددة	التّصدية	من - إلى د - ي	لام الكلمة	
التلبية	التلببة	التلبية	ب - ي	لام الكلمة	
كيت وكيت وذيت وذيت دلالتهما واحدة فإذا ذكرت الأولى، اقترنت بها الثانية.	كيّة و ذيّة	كيت و ذيت	ي الثانية - ت ي الثانية - ت	لام الكلمة لام الكلمة	تحوّل معكوس تحوّل معكوس
هنيهة	هُنَيّة	هُنَيهة	ي الثانية - هـ	لام الكلمة	تحوّل معكوس
هفهاف	هفّاف	هفهاف	الفاء الثانية . هـ	عين الكلمة	تحوّل معكوس
صمصام	صمّام	صمصام	م الثانية - ص	عين الكلمة	تحوّل معكوس
إيْلاً	إلاً	إيْلاً	اللام الأولى - ي	عين الكلمة	قراءة
مهما	ماما	مهما	الألف الأولى – هـ		تحوّل معكوس
وزن فِعّال					
ديباج	دِبّاج	ديباج	الباء[1] - ي	عين الكلمة	

دينار	دِنّار	دينار	ن[1] - ي	عين الكلمة	
ديماس	دِمّاس	ديماس	م[1] - ي	عين الكلمة	
ديوان	دوّان	ديوان	و[1] - ي	عين الكلمة	
شيراز	شرّاز	شيراز	ر[1] - ي	عين الكلمة	
قيراط	قرّاط	قيراط	ر[1] - ي	عين الكلمة	

مسائل التّحول

أ- الأسماء:

- **التّصدية:** وقف المفسّرون وأصحاب النظر اللغويّ على المفردة (تصدية) الواردة في لغة التنزيل في قولة تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[1] فذهب أبو عبيدة[2] إلى أنّ أصل (تصدية) هو (تصددة) بمعنى التضعيف حيث وقع التّحول في لام الكلمة، فقلبت لام الكلمة (الدال الثانية) إلى ياء؛ لتحقيق الانسجام الصوتي حيث حوّلت الدال الثانية ياءً لكسرة الدال الأولى، ويبدو لي أنّ هذا التّحول مشروط بإدارة التصدية على معنى التصفيق، فإن فارقت الكلمةُ هذه الدلالة أصبح وقوع التّحول غير ممكن؛ لذا أدرج أصحاب المعجمات اللغويّة هذه الكلمة تحت الجذر (صدد)، إلاّ أنّ أبا جعفر الرستميّ قد ذهب إلى أنّ التصدية من الصّدى، وهو الصوت، ممّا حدا بالزبيديّ أن يقول: ولم يستعمل من الصدى فعل، والحمل على المستعمل أولى[3].

- **التلبية:** ذكر اللغويّون أنّ أصل هذه الكلمة (التلببة)؛ لذا صّنفت في المعجم العربيّ تحت مادة (لبب) فأصل لام هذه الكلمة (الباء)، ولكنّ ثقل التضعيف آذن بتحوّل لام

---

١. الأنفال: (٣٥).

٢. الزركشي، البرهان، ٣٨٩/٣ . وانظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٣٧٦. والثمانيني، شرح التصريف، ٢١٧. والسيوطي، المزهر ٤٦١/١.

٣. الزبيدي، محمد مرتضى (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) تاج العروس، مادة (صدد).

الكلمة (الباء الثانية) إلى الياء، وقد حُفِظ هذا الأصل في الشعر، إذ استشهدوا بقول المضّرب بن كعب[1]:

فقلت لها فيئي إليك فإنّني حرامٌ وإنيّ بعد ذاك لبيبتُ

ومعنى التلبية الإقامة في المكان، قال ابن القوطيّة: ولبّ بالمكان لُبُوباً وأَلبّ: أقام به، واشتقاق التلبية من هذا[2].

وهذا التّحول إلى الياء الواقعة في موضع لام الكلمة قد أشار إليه سيبويه[3]، إلا أنّ ثمّة تحوّلاً عكسياً قد طرأ على بعض المفردات المضاعفة على نحو ما يطالعنا في الكلمتين:

– كَيْتَ وكَيْتَ وَذَيْتَ وَذَيْتَ – وقد ضُمّتا معاً؛ لأنّ معناهما واحد، فهما كناية عن القصّة والأحدوثة – فالمألوف الذي أشار إليه أصحاب النظر اللغويّ أنّ التّحول يكون في موضع اللام وهذا ما حافظت عليه الكلمتان، إلاّ أنّ المعكوس هو تحوّل الياء الثانية إلى حرف صحيح هو التاء، جاء في مدوّنة ابن جنّي اللغويّة "وأبدلوا التاء أيضاً من الياء لاماً في قولهم: كيت وكيت – وذيت وذيت، وأصلهما كيّة وكيّة وذيّة وذيّة ثم إنّهم حذفوا الهاء وأبدلوا من الياء التي هي لام تاء"[4]. وإلى هذا ذهب تلميذه الثمانيني[5]. ومما يذكر في هذه المسألة أَنّ أصحاب المعجمات اللغويّة – التي تسير على منهج الباب والفصل – قد رتّبوا مادة (كيت) في باب التاء فصل الكاف، ومادة (ذيت) في باب التاء فصل الذال، ولم يعودوا فيهما إلى

---

١. أبو عبيدة، مجاز القرآن، ٣٠٠/١.

٢. ابن القوطيّة، أبو بكر (٣٦٧هـ/٩٧٧م) كتاب الأفعال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ٢٠٠١، ٩٠.

٣. سيبويه، الكتاب، ٤٢٤/٤.

٤. ابن جنّي، أبو الفتح (٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م) سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن وأحمد رشدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ١٦٣/١.

٥. الثمانيني، شرح التصريف، ٣٥٢.

الأصل اليائي، على غير ما طالعنا في الكلمتين (تصدية) و(تلبية) إذ عادوا فيهما إلى الأصل قبل التّحول وهو الحرف الصحيح، أمّا هنا فأبقوا على صورة الكلمة المستعملة بعد التّحول إلى الحرف الصحيح (التاء)، وأصبح المشترك بين التحولين صحّة الحرف على حسب نظر أصحاب المعجم اللغويّ.

ويستمرّ هذا التّحول المعكوس على حسب معطيات الجدول السابق في كلمة: (هُنَيهة) جاء في كتب التّصريف أَنّ كلمة (هُنَيْهة) تصغير لكلمة (هَنْوة).

وأَنّ أصل التصغير فيها قبل التّحول هو (هُنيّة) "وقالوا: هُنيهْة في تصغير: هَنْوة، والأصل (هُنَيْوة) فلمّا اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون قلبوا من الواو ياءً، وأدغموا الياء في الياء، فقالوا: هُنيّة، ثم استثقلوا التضعيف، فقلبوا من الياء هاءً، فقالوا: هُنَيْهة فهذه هاءٌ أُبدلت من ياءٍ"[1].

فموضع التّحول في لام الكلمة، وهو تحوّل معكوس أوقع الهاء في موضع الياء على غير ما ذهب إليه سيبويه وَمَنْ لفّ لفّه من أَنّ التّحول يكون تجاه الياء لكراهية التضعيف، ولم يلتفت أصحاب المعجمات إلى هذا التّحول في ترتيب الكلمة، فقد أبقوا عليها في باب الواو فصل الهاء[2].

ومّما ذكره ابن دريد في كتاب الاشتقاق قول العرب: رجل هفهاف "وأحسب أَنّ قولهم: رجل هفهاف إذا كان خفيفاً، وإنّما كان أصله (هفّاف) فثقل عليهم، ففصلوا بينهما بهاء"[3]. والملحوظ أنّ موضع التّحول، قد انتقل إلى عين الكلمة المضاعفة على خلاف وروده المعهود في لام الكلمة وَصَاحبَ ذلك تحوّل معكوس، فقد استبدلت الهاء بالفاء الثانية، ولا حضور للياء في هذا التّحول البتة، ومثل هذا ما اعترى المفردة (الصمصام)، والصمصام: الرجل الشجاع جاء في كتاب الاشتقاق "ويقال:

---

١. الثمانيني، شرح التصريف، ٣٥٧.

٢. الزبيدي، تاج العروس، مادة (هنو).

٣. ابن دريد، محمد بن الحسن، كتاب الاشتقاق، ٢٣٠.

صمّم عليه إذا حمل عليه والصمصام من هذا اشتقاقه إلاّ أنّه ثقل عليهم أَنْ يقولوا: صمّام، فقالوا: صمصام"[1].

والقول فيها كالقول في سابقتها، فمركزيّة التّحول في عين الكلمة المضاعفة، فرغبوا عن التضعيف، فتحوّلت الميم الثانية إلى الصاد، فخفّت الكلمة.

وممّا ورد من هذا التّحول في لغة التنزيل ما جاء في قراءة عكرمة للآية الكريمة ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾[2] فقد قرأ "إِيْلاً" بدلاً من (إلاًّ)، فتحوّلت اللام الأولى، وهي عين الكلمة إلى (ياء)، ووجّه ابن جنّي هذا التّحول بثقل التضعيف، والانسجام الصوتي، قال أبو الفتح: "طريق الصنعة فيه أَنْ يكون أراد (إلاًّ) كقراءة الجماعة إلاّ أَنّه أبدل اللام الأولى ياءً لثقل الإدغام، وأضاف إلى ذلك كسرة الهمزة وثقل الهمزة"[3].

ويبدو لي أَنّ وقوع هذا التّحول في عين الكلمة دون اللام جاء محافظة على معنى الكلمة؛ إذ لو حدث في لام الكلمة لاستوجب تغيير المعنى، ومطلب التّحول في المضاعف المسموع أن لا تتغيّر دلالة الكلمة. وممّا يلحق بهذا الباب مسألة (مهما)، فقد حوّلت الألف الأولى إلى هاء؛ كراهية التضعيف في الكلمة على حدّ قول الخليل "وسألت الخليل عن مهما فقال: هي ما أدخلت معها ما لغواً ..... ولكنّهم استقبحوا أَنْ يكرّروا لفظاً واحداً فيقولوا: ماما فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى"[4]. وجاء في النوادر أَنّ أبا الحسن ذهب إلى تفسير هذه المسألة بالقول: "وأبدلوا الهاء من الألف لخفاء الألف وأَنّها حرف هاوٍ لا مستقر لها، فكرهوا اجتماع ميمين ليس بينهما إلاّ الألف وهي لخفائها وأَنّها تهوي في مخرجها

---

١. ابن دريد، كتاب الاشتقاق، ٢٩٢.

٢. التوبة: (٨).

٣. ابن جنّي، المحتسب، ٢٨٣/١.

٤. سيبويه، الكتاب، ٥٩/٣ وما بعدها.

حاجز ليس بحصين، فكأنّهم جمعوا بين ميمين فأبدلوا منها الهاء كما كانت شريكتها في الخفاء، ولم تكن هاوية بمنزلة الحركة"[1]، ومدار التخفيف بيّن في هذا التّحول إنْ كانت هذه المفردة على هذه الصورة، فإن كان الأصل (مه) وضُمّت إليها (ما) على حدِّ أحد قولي الخليل فالكلمة مأمونة من التّحول.

(وزن فِعّال)

ذكر اللغويّون أَنّ ثَمة وجهاً للتّحول قد أصاب هذا الوزن (فِعّال) في كلمات محفوظة في المدوّنة اللغويّة فإذا ذُكرت واحدة منها ضُمّت إليها الأُخر، وهي (ديباج، وديماس في أحد القولين) ودينار، وديوان، وشيراز، وقيراط[2]، فالأصل على(فِعّال) دبّاج، ودمّاس، ودِنّار، ودِوّان، وشِرّاز، وقِرّاط بدليل تصغير هذه المفردات، أو جمعها جمع تكسير (دبيبيج/دبابيج/ دُمَيْميس/دماميس/ دنينير/ دنانير/ دويوين/ دواوين/ شريريز/ شرارير/ قُرَيْريط/قراريط.

وممّا يلحظ أنّ موقع التّحول في هذا الوزن هو عين الكلمة (الحرف الأول المضاعف) حيث حوّلت الباء الأولى إلى الياء ومثلها الميم، والنون، والواو، والراء. ويبدو لي أَنّ الميل إلى التّحول في الحرف المضاعف الأول جاء بسبب من اجتماع الياء مع الألف (دبياج) ممّا يضعف نسيج الكلمة الداخليّ. وممّا ذكر في تفسير هذا التّحول أنّ التضعيف يثقل الكلمة، لذا فرّوا إلى التخفيف، وقد ارتأى بعضهم أَنْ يضع هذا التّحول في فَلَك رفع اللبس بين (فِعّال) اسماً و(فِعّال) مصدراً، فإن كان مصدراً انعدم التّحول وحَكَم الأصلُ، وإن كان اسماً وقع التّحول "قيل: إنّ السّر في هذا القلب إنّما هو للتفريق بين فِعّال في الاسم وفِعّال في المصدر، نحو: وكذّبوا بآياتنا كِذّابا، فقلب العرب الاسم، وصحّحوا المصدر"[3].

الأفعال:

---

١. الأنصاريّ، أبو زيد، النوادر في اللغة، ٦٤.

٢. سيبويه، الكتاب، ٣/٤٦٠ . وانظر: ابن جنّي، المحتسب، ١/٢٨٣، والثمانيني، شرح التصريف، ٣١٦.

٣. الثمانيني، شرح التصريف، ٣١٦.

إنّ التّحول الحادث في الأفعال المضاعفة إنقاد في الغالب إلى ربقة قول سيبويه من أنّ لام الكلمة هي مركز التّحول وأنّ الياء مقصده، على أنّ هذا التّحول، إذا مسّ الفعل الماضي المضاعف كان وصله بالضمير المتحّرك غالباً، نحو الفعل: (تسرّيت) فالأصل المحّول عنه (تسّررتُ)، فحوّلت الراء (لام الكلمة) إلى الياء برسم الخفّة عند إسناد الفعل إلى الضمير المتحرّك، قال الأصمعيّ[١]: وقولهم تسرّيت أصله (تسرّرتُ) من السرّ وهو النكاح، وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَكِنْ لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[٢]، أي نكاحاً، فأبدل من الرّاء ياءً.

ومثل هذا الفعل (دسّاها) والأصل (دسّس) واستشهد على هذا الأصل سيبويه ببيت الفرزدق[٣]:

دسّت رسولاً بأنّ القوم إنْ قَدَروا عليك يَشْفُوا صدوراً ذاتَ توغيرِ

وعلى هذا حّولت السين (لام الكلمة) إلى الياء ثم قُلبت ألفاً، ولا نعدم أَنْ نجد هذا التّحول في لغة التنزيل قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٤] قال الثمانيني: "أراد من دسّسها فقلب من السين الأخيرة ياءً"[٥]، وفسّر المؤدّب هذا التحول بطلب الخفّة "فحين استثقل التضعيف نَقَل إلى دسّاها ثم صارت الياء ألفاً"[٦] وقد فسّرته الدراسات اللغويّة الحديثة في ضوء قانون الجهد الأقل لتحقيق حدّ أعلى من الأثر بحدّ أدنى من الجهد.

---

١. ابن قتيبة، أدب الكتاب٤٩٩.

٢. البقرة: (٢٣٥).

٣. سيبويه، الكتاب،٦٨/٣.

٤. الشمس(١٠).

٥. الثمانيني، شرح التصريف ٢٠٧، وانظر: السيوطي، المزهر،٤٦٨/١.

٦. المؤدب، دقائق التصريف، ٤٣٨. وانظر: الصالح، د. صبحي، دراسات في فقه اللغة. دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٨٣،٢٣٢.

واستبدلوا الياء بالحرفين الصاد والضاد في المفردتين (قصّصت، وقضّضتُ) تحقيقاً للتخلص من توالي الأمثال[1]، فلام الفعل مركز التّحول إلى الياء، قال أبو عبيدة:"تقلب حروف المضاعف إلى الياء، قال العجّاج: تقضي البازي إذا البازي كسَر، وإنمّا هو القضاض[2].

جدول الأفعال:

المفردة	قبل التّحول	بعد التّحول	صورة التّحول	موضع التّحول
تسرّيت	تسرّرت	تسرّيت	ر ـ الياء	لام الكلمة
دسّاها	دسّس	دسّاها	س ـ الياء	لام الكلمة
قصيت	قصصتُ	قصّيت	ص ـ الياء	لام الكلمة
قضيت	قضضتُ	قضّيت	ض ـ الياء	لام الكلمة
تلعيت	تلعّعت	تلعّيت	ع ـ الياء	لام الكلمة
ظنيت	ظننتُ	ظنيت	ن ـ الياء	لام الكلمة
أملى/ يملي	أملل/ يملل	أملى/ يملي	ل ـ الياء	لام الكلمة
يتمطّى	يتمطّط (بمعنى يتبختر)	يتمطّى	ط ـ الياء	لام الكلمة
التّحول المعكوس				
حيا	حيّ	حيا	ي ـ الألف	لام الكلمة
استخذ	اتّخذ	استخذ	ت ـ س	فاء الكلمة
وزن (فَعْلل)				
حثحث	حثّث	حثحث	ث ـ الحاء	اللام الأولى

١. الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان١/١١٩.

٢. أبو عبيدة، معمر بن المثنّى، مجاز القرآن، محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بمصر،٢/٣٠٠ وانظر: ابن عطيّة، المحرّر الوجيز٥/٤٨٨.

دهدى	دهده	دهدى	هـ ـ الياء	اللام الثانية
رقرق	رقّق	رقرق	ق ـ الراء	اللام الأولى
شفشف	شفّف	شفشف	ف ـ ش	اللام الأولى
صهصى	صهصه	صهصى	هـ ـ الياء	اللام الثانية
كبكب	كبّب	كبكب	ب ـ ك	اللام الأولى
كركر	كرّر	كركر	ر ـ ك	اللام الأولى
كمكم	كمّم	كمكم	م ـ ك	اللام الأولى

ومثل هذا الفعل (تلعّيتُ) إذ الأصل (تلّعتُ)[1]، واللعاعة (بَقْلة) فأسند الفعل إلى ضمير متصل متحرّك، فثقل التضعيف فحوّلت لام الكلمة (العين الأخيرة) إلى ياء، ومثل هذا التّحول وقع في الفعل (ظننتُ) قالوا فيه (ظنيت) قال سيبويه: "كما يكره التضعيف من غير المعتل نحو: (تظنيتُ)[2] "فاتّصاله بالضمير المتحرّك دعاه إلى هذا التّحول المستخف، مع أنّ صوت النون صوت غُنّة يكثر استعماله على حدّ قول الشايب من أنّ: "النون من بين الأصوات جميعها تُعدُّ الصوت الأكثر استخداماً في هذا المجال نظراً للغنّة الملازمة لها في النطق ولذلك غيّرها كثيراً ما تلزم الفواصل القرآنيّة"[3].

وقد أصبح هذا التحّول لغة فاشية في لسان اليوم، إذْ نجده في كل فعل ماضٍ مضاعف جاء مسنداً إلى ضمير متصل متحرّك نحو قولهم: مرّيت، شدّيت،

---

١. ابن جنّي، سر صناعة الإعراب ٧٦٣/٢، وانظر: السيوطي، المزهر ٤٦٨/١.

٢. سيبويه، الكتاب،٤١٧/٤، وأبو عبيدة، مجاز القران ٣٠٠/٢ وابن قتيبة، أدب الكاتب ٣٧٦ ، والمؤدّب، دقائق التصريف ٤٣٨، والجبان، أبو منصور (٤١٦هـ/١٠٢٥م)، شرح الفصيح في اللغة تح: د.عبد الجبار جعفر القزاز، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ط١، ١٩٩١،٣٠٥.

٣. الشايب، أثر القوانين الصوتيّة في بناء الكلمة، ٣٤٨.

وظنّيت، وسبّيت. وأمليت .. مما لا يحصى حتى غدا مستساغاً وكأنه قاعدة قياسيّة مقرّرة.

ونطالع الفعل (أملى) بصورتيه الماضي والمضارع، فقد حوّلت لام الكلمة (اللام) إلى ياء تخفيفاً، وقد نطق القرآن الكريم بهذا الفعل قبل التّحول وبعده، قال تعالى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالعَدْلِ﴾[1] فهذه من أملل، ومن التّحول قوله تعالى: ﴿فهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[2]. وممّا جاء في الشعر قول الأسود بن يعفر النهشليّ:

فأقسمتُ لا أشربه حتّى أملّه بشيء ولا أملاه حتّى يفارقا

ولا أملاه أي: لا أمُلّه، فحوّلت لام الكلمة (حرف اللام) إلى ياء ثم حوّلت إلى الألف.

وممّا حفظته لغة التنزيل من هذا التّحول الفعل (يتمطّى) قال تعالى :﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[3]، وقد اتفقت كلمة اللغويّين والمفسرين على أنّ الأصل (يتمطّط) أي: يمدّده، ومنه المشية المطيطاء وهي التبختر[4]، فأثبت في مكان اللام الياء ثم حولت إلى الألف، قال المؤدب: "فأثبت الألف في يتمطّى مكان الطاء الثانية على ما مضى من الإعلال[5]" وهذا الفعل المحوّل فعل مضارع مستعمل في بعض اللهجات العاميّة اليوم، إذ يقولون: (فلان يتمطمط) بتحويل مخالف لما سمع عن العرب، وما ورد في لغة التنزيل.

---

١. البقرة: (٢٨٢).

٢. الفرقان: (٥).

٣. القيامة: (٣٣).

٤. أبو عبيدة، مجاز القران،٢٧٨/٢ وانظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب ٣٧٦، والثمانيني، شرح التصريف، ٢٠٧، والزمخشري، الكشاف ٦٦٤/٤.

٥. المؤدب، دقائق التصريف،٤٣٧.

وبدا للباحث أنّ ثمّة تحَولاً معكوساً قد اعترى الفعل (حيا)؛ إذ تحوّلت الياء إلى الألف في موضع لام الكلمة المضاعفة، قال أبو زيد: وقال زيد الخيل:

فليت أبا شُرَيْح جارَ عمروٍ حَيَا عوفٌ وغيّبه القبور

أراد: "حيّ عَوْفٌ"[1].

والبيت على الوافر وتفعيلته (مُفَاعلتن) ويظهر أنّ ضرورة الشعر قد اقتضت هذا التحول العكسي من الياء إلى الألف؛ لأنّ استجلاب صورة الأصل (حيَّ) بالتضعيف يؤذن بانكسار الوزن الشعريّ.

ومّما يطالعنا في مدار التّحول المعكوس في فاء الكلمة بغير الياء قولهم في الفعل (اتخذ) (استخذ) نصّ على ذلك ابن جنّي في أحد قوليه "اعلم أنّ العرب تقول: استخذ فلانٌ أرضاً وفي ذلك عندنا قولان: أحدهما: أنّه يجوز أنْ يكون أصله (اتخذ) وزنه افتعل من قوله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[2] ثم إنّهم أبدلوا من التاء الأولى التي هي فاء افتعل سيناً[3]". وجاء في المعجم اللغويّ عن المبرّد أن بعض العرب تقول: استخذ فلان أرضاً يريد اتّخذ، فتبدل من إحدى التاءين سيناً... ويجوز أن يكون أراد استفعل من تخذ يتْخذ فحذف إحدى التاءين تخفيفاً. قال ابن شميل: استخذتُ عليهم يداً وعندهم سواء، أي اتّخذت[4].

ويبدو لي أنّ المخالفة بيّنة في هذا الفعل، إذ تحوّلت فاؤه (التاء) إلى السين، وهما حرفان صحيحان، وهذا تحوّل نادر بغير الياء في فاء الكلمة ومما جاء في

---

١. أبو زيد الأنصاريّ، النوادر في اللغة ٨٠.

٢. الكهف: (٧٧).

٣. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢١١/٢.

٤. الزبيدي، تاج العروس، مادة (أخذ). وانظر: ابن عطية ، المحرّر الوجيز، ٥٣٤/٣.

الفعل المضارع الواقع جواباً للأمر قول امرئ القيس: فسلّي ثيابي من ثيابك تَنْسلي، قال أبو رياش: "معناه تنسلل، فأخرج اللام الثانية ياء لكسرة اللام الأولى، ومثله قول الآخر:

وإنّي لأستنعي وما بي نعسة لعّل خيالاً منك يلقى خياليا

أراد: أستنعس، فأخرج السين ياءً[1]"

فذهب إلى تفسير هذا التحوّل في الفعل (تنسلي) بالانسجام الصوتّي ولست على يقين مما ذهب إليه أبو رياش؛ لأنّ البيت من معلقة امرئ القيس المبنيّة على حرف الروي (اللام) المكسور، ورواية البيت في الدّيوان:

فإنْ تكُ قد ساءَتك منّي خليقة فَسُلّي ثيابي من ثيابك تَنسُلِ

وفسّر السكريّ (تَنْسُل) بالقول: "وقوله: تَنْسُل، أي تبين عنها، وإذ بانت السَّن فسقطت قيل: نَسَلَت، ويقال للنصل إذا سقط: قد نَسَل"[2].

وعلى حدّ هذا القول فإن التّحول معدوم؛ لأنّها موضوعة في مادة (نسل)، أمّا ورودها في مادة (سلل) على حسب ما ذهب إليه أبو رياش، فإنّ التّحول حادث، إذ حوّلت لام الفعل إلى ياء لضرورة الشعر، وليس لتحقيق الانسجام الصوتيّ.

وتطالعنا أفعال مضاعفة جاءت مطابقة لوزن (فَعْلَل) نحو: حثحث، ودهدى، ورقرق، وشفشف، وصهصى، وكبكب، وكركر، وكمكم، وأصل هذه الأفعال قبل

---

١. الزركشي، البرهان، ٣٨٩/٣.

٢. امرؤ القيس، الدّيوان بشرح أبي سعيد السّكري (٢٧٥هـ/ ٩٨٥م) تح: د. محمد الشوابكة ود.أنور أبو سويلم، دار عمّار،عمّان، ط١، ١٩٩٨، ج١/١٩٤.

التّحول (حثّت، ودهده، ورقّق، وشفّف، وصهصى، وكبّب، وكرّر، وكمّم، فحوّلت اللام الأولى في (حثّث) و(رقّق) و(كبّب) و(كرّر) و(كمّم) على وجه الترتيب (حاءً، وراءً، وكافاً في الثلاثة الأخيرة)، وحوّلت اللام الثانية في (دهده) و(صهصه) ياء، فقالوا: دهديت/ وصهصيت.

جاء في تعليقات اللغويّين على هذه الأفعال أن الفعل حثحث أصله حثّث، وقد حفظت مادة الشعر هذا التّحول، قال تأبط شرّاً[1]:

كأنّما حثحثوا حصاً قوادمُه أو أمّ خِشفٍ بذي شثّ وطُبّاق

وذكر ابن قتيبة أَنّ الفعل رقرق أصله رقّق، ففرّوا من التضعيف "فأبدلوا من الكاف الوسطى راء[2]" وأمّا الفعل المحوّل (كبكب) فجاء في لغة التنزيل، قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾[3]، قال ابن قتيبة: كبكبوا من كببتُ الرجل على وجهه، وقالوا في تكمّم تكمكم، وتكرّر، وتكركر، قال الشاعر:

باتت تكركِرُه الجنوبُ

وقالوا في المشفّف: المشفشف، قال الفرزدق:

وَيخلِفن ما ظنَّ الغيورُ المشفشفُ

وكلّ هذا يندرج تحت باب التّحول غير القياسيّ دون أَنْ تترتّب عليه مغايرة في المعنى، أو حدوث لَبْس، قال ابن جنّي: "ولا تجد هذين اللفظين إلاّ بمعنى واحد، وذلك نحو: رقرقت ورققت، ألا ترى أَنّ اتفاق معنيهما قد حمل البغداديين على أَنْ قالوا: إنّ الأصل في حثحث حثّث....[4]". وهذا النوع من التّحول في الكلمات المضاعفة الرباعية أشار إليه (Hurwits) إذ يقول: "الكلمات العربيّة

---

١. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢٠٢/١.

٢. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٣٣.

٣. الشعراء: (٩٤).

٤. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢٠٢/١.

الكبيرة البينة التي تشتمل على راء، أو لام، أو نون، أو ميم قد تولّدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين، وهو يمثّل بالكلمات الآتية: حرجل وحجّل، وجلمد وجمّد، وعنكب وعكّب، وعرقب وعقّب، وقرمط وقمّط، وفلطح وفطّح .... ويخرج بنتيجة ملخصها أنّ الحروف المائعة تُعَدّ وسيلة مخالفة للتضعيف في الصيغة المضعفة القديمة[1]".

ويبدو لي أَنّ هذا التّحول في وزن الكلمات على (فعلل) أصبح شائعاً في اللهجات العاميّة، إذ يقولون: في جخّ، جخجخ، ومصّ مصمص، وهكذا.

الحروف:

يتراءى لي في هذا الجانب أنّ وقوع التّحول الصوتي غير المطّرد في الحرف المضاعف جاء نادراً، فممّا جاء محفوظاً في المدوّنة اللغويّة قولهم في (أَمّا) (أَيْما)[2] حيث تحوّلت الميم الأولى إلى ياء، وعلى هذا جاء قول عمر بن أبي ربيعة:

رأت رجلاً أَيْما إذا الشمس عارضت فيضحى وأَيْما بالعشيّ فيخصر

وقول الأحوص:

يا ليتما أمّنا شالت نعامتها أَيْما إلى جنّة أَيْما إلى النّار

ويبدو لي أنّ الهمزة مكسورة في قول الأحوص (إمّا) التي تفيد معنى التفصيل دون الشرط، وأَنّ القبائل المتحضّرة هي التي مالت إلى هذا الضّرب من التّحول إلى الياء، والياء مظهر من مظاهر التحضّر عند الحجازيّين؛ لذا غلب وقوع الياء في مكان اللام، ومبعث هذا القول يتأتى من أن القبائل الضاربة في البداوة ومنها قبيلة تميم يميلون إلى الإدغام، إذ يقولون في (خالد) (خالدّ).

---

١. عمر، دراسة الصوت اللغويّ، ٣٣٠.

٢. الجوهري، الصحاح، مادة (أمم)، وانظر: السيوطي، المزهر، ٤٧٣/١.

وخلص هذه البحث إلى:

١- أنّ هذا التّحول يصعب ضبطه؛ لكثرة التغيّرات الداخلة في بنية الكلمة، إذ تتناوب فيه الحروف الصحيحة والمعتلة، والصحيحة والصحيحة، ممّا يؤذن بعدم قياسيته.

٢- أنّ أصحاب النظر اللغويّ قد وقفوا فيه على مركزيّة التّحول في لام الكلمة لتطرفها، ولكنّنا لا نعدم وروده في فاء الكلمة، أو عينها.

٣- أنّ الياء مستأثرة بهذا التّحول على وجه غالب؛ لأنّها مقادة الخفّة على حسب معطيات المدوّنة اللغويّة، ولأنّها تمثّل مظهراً من مظاهر التحضر في الاستعمال في مقابل التضعيف الذي حَرَصت عليه بعض القبائل البدويّة.

٤- أنّ التّحول ليس مقصوراً على الأفعال دون الأسماء أو الحروف، بل أصاب أقسام الكلمة، و إن كان نادر الحدوث في الحروف.

٥- أنّ الضرورة الشعريّة كانت سبباً من أسباب بروز ظاهرة التّحول تضاف إلى ما ذكره القدامى والمحدثون من داعي الخفّة و الانسجام.

٦- أنّ لغة التنزيل ولغة الشعر استحضرتا شيئاً من هذا التّحول ممّا يؤذن بقبوله وكفى.

٧- أنّ هذا التّحول أصبح سَمْتاً واضحاً تسير عليه اللهجات العاميّة دون تردّد في باب الفعل المضاعف.

وأسأل الله التوفيق